

الكتاب والثقافة العربية

الكفاحية ، في مرحلة تعتبر فيها الجهة الثقافية معيارا لتقدم الامم ، ومن خلال مكانتها وقوتها وصلابتها وعلميتها تستطيع مجابهة الاعداء القوميين ، من امبراليين وصهاينة واعداء عنصرين للعرب والحضارة العربية والمستقبل العربي ..

ان مسألة بهذا الحجم تتطلب بالفعل ان تكون ميدانا اساسيا للبحث في هذه الندوة حتى وان اختلفت المناوين ، الا ان نتائج كل عنوان لابد وان تلقي في الهدف المركزي الذي نمنيه جميعا في هذه الندوة وفي ندواتنا القادمة . ولجل ان ندخل واضحين ، لابد ان نبوب الموضوع اعتبارا من مسألة احياء التراث ومرورا بمشاكل الكتاب والمعرفة والاساليب المتبعة في اقطاننا لمجابهة التخلف والشروط التي نطمح لتوفيرها مجتمعين لخدمة الثقافة العربية وتقدم الكتاب العربي في الميادين كافة ، وجعل هذا السفر في العالم والكارر المتقدم في مجتمعا على مستوى لائق بامتنا وبالطموح الحضاري والعلمي الذي نريده لها جميعا وما مثلته في الماضي .

اولا - مسألة احياء التراث القومي للامة العربية :

ان موضوع احياء التراث يتطلب توفير وسائل عملية وتنسيقا شاملا بين اقطار الامة العربية من خلال الجهات الرسمية المعنية ودور النشر . في مقدمة هذه الوسائل البحث المتواصل عن المخطوطات العربية داخل الوطن وخارجه والعمل على تحقيقها ونشرها بصد تقيحها والتعليق عليها ، بما يخدم الثقافة .

وفي هذا المجال من المفروض تشكيل هيئة عربية موحدة لجمع المخطوطات واعادة تحقيقها ونشرها ، وفي المقدمة الكتب التي توضح دور العرب التعليمي في طرق ابواب الاجتماع والتاريخ والفلسفة والطب والكيمياء والتراث الادبي . لان تاخر نشرها قد يؤثر على النشر بضياعها او تلفها ..

وفي هذا المجال نتبع منهجا موحدا لترتيب التحقيق في الموضوعات ويوظف جهد غير اعتيادي متعاون بين كل من تعنيه الثقافة العربية واعادة احياء التراث ..

والطريق الثاني لحياء التراث بغير التحقيق الفردي هو باعادة كتابة التاريخ بمنهج معاصر وعلمي يتناسب والتطورات العلمية الحديثة وبما يخدم الثقافة المعاصرة ، ويؤكد تقدم المعرفة العربية ودورها في الحضارة الانسانية ، واهمية ذلك في تربية جيل الثورة العربية الجديد على ماضي امته الخالد حتى يصبح جيلا يتمتع بذاكرته القومية ويتمسك بثقافة تلتصق بلحم الارض وجسد التاريخ القومي لامته ، ومن خلال هذه التربية يعي تمام الوعي ابعاد الصراع مع الامبراليين والصهاينة وترسخ في نفسه مبادئ وقيم جديدة وذات صلة بتراثه ونضال امته ، من اجل الخير والانسانية وتقدم البشرية الحضاري والعلمي . وهذه اهم قضية يمكن ان نقدمها للجيل العربي الذي نريده جيل معرفة وعلم ورسالة ومبادئ حضارية وانسانية نبيلة ..

ثانيا - أزمة الكتاب العربي :

ان هذا الموضوع بالحقيقة ، يجرنا الى الموضوع الاساسي الذي يجب ان يكون محور نقاشنا وهو أزمة الثقافة العربية ، وكما قلنا ان جذرها الاساسي هو بداية فقدان الصلة بالتراث الثقافي القومي ، وعدم تكامل نشره وعدم اعادته وفق منهج معاصر ومتكامل ومنسجم مع التطور العلمي وصراع الامة مع اعدائها ، والشئ الاخر

يشكل الكتاب العامل الرئيس في التوعية القومية والسياسية لمكانته ودوره في مضمار الحضارة والمعرفة الانسانية ، وكونه رابطة من اقوى الروابط الفكرية التي تجمع شمل الامة وتنقل انتاجها الفكري بالاضافة الى انه المرآة التي نرى العالم من خلالها .

والحقيقة ان العرب رعوا الكتاب منذ زمن بعيد وهو امر تؤكده مجموعات الكتب النادرة التي امتلأت بها خزانات الكتب العربية من المحيط الى الخليج ، ويحتفظ عدد من دور النشر والكتيبات العالية حاليا باعداد كبيرة منها وهي ثروة علمية ومكتبية لا تقدر بشئ ، وشاهد حضاري على تقدم العلوم عند العرب ، ومدى اهتمامهم بالمعرفة قبل ان تبتدع الطباعة وتذلل الصعوبات ، وكانت الكتابة تلعب دورا بارزا في تطوير الحضارة العربية وتناقها من جيل لجيل ومن بلد لآخر ، حتى غدت ذات اتساع عالمي بفضل العلوم المكتبية التي نشرها الرواد الاوائل للحركة الفكرية العربية ..

ان الوقوف امام هذه الحقيقة غايتنه الاولى ان نعيد قراءة تاريخنا وان نذكر مستوى نهضتنا وانارها العلمية على الانسانية جمعا ، وكقدمة لاستقراء الواقع الثقافي الحالي بالمقارنة معه ، ثم معرفة مدى مقدرة الثقافة الحالية على مجابهة الفكر المعادي باتجاهاته الاقليمية والشعبوية من جهة ، ومقارعة الفكر المعادي باليهودي والصهيوني من جهة اخرى ، ثم العمل على ايجاد الوسائل والمقترحات الضرورية للارتقاء بمستوى هذا السلاح الاساسي من حيث نشره داخل الوطن وربطه بالتراث القومي للامة والانسانية في العالم ، ووضع الوسائل والاساليب العلمية من اجل ترابط وتزواج الفكر العربي الحديث وعصرنة هذا الفكر وتعميم واشاعة الثقافة لكل الناس ، وذلك من خلال الاسهام الرسمي العربي المباشر (المادي ، المعنوي) ابتداء من الفاء الامة وحتى مجانية والزامية التعليم بجميع المراحل بالنسبة للاولى وبعض المراحل بالنسبة للثانية ، وايجاد تصاون عربي في هذا المجال لان وحدة حركة الفكر القومي تشكل المقدمة الضرورية والاولية للوحدة القومية .

ان هذا التفكير يجعلنا نعي اوليات الطريق في مسألة اعادة احياء التراث القومي والبحث في كنوز الثقافة العربية ، ومتابعة الانجازات الحديثة في مختلف العلوم التكنيكية والانسانية، حتى نستطيع بالفعل مواكبة التطور، والا فان لقاءنا سيبقى في اطر المؤتمرات التقليدية، التي لا تعطي القضية الثقافية اكثر من قرارات متحمسة للعروبة والثقافة، وفي بعض الاحيان للنواحي الفنية والتسويقية. وفي تقديرنا ان هذه المسائل مع اهميتها فهي جزء وجيز وبسيط من الموضوعات التي يجب ان تطرح كمشروعات عمل .

في لقاء على هذا المستوى وتحت مثل هذه الشعارات القومية والتقدمية والمعاصرة ، فما هي اذا موضوعاتنا الاساسية التي نراها بمستوى الشعارات القومية والمصرية للامة العربية ؟ .

ان المدخل هو البحث الجاد ، العلمي والعملية ، في موضوع أزمة الكتاب العربي ، وهذا الموضوع يجرنا الى بحث أزمة الثقافة العربية المعاصرة . ومن خلال هذا المدخل يمكن ان نصل معا الى مركزة القضايا وبحث جزئياتها وابعادها وترابطها بموضوعية علمية لا تشك بقدرتنا مع بعض على ايجاد المخارج الصحيحة والعملية في قضية كلنا نشعر انها مهمة ومصرية ، وانها تشكل اليوم اهم جهاتنا

هو ما تعرضت له الثقافة العربية من استلاب نتيجة الهجمة الاستعمارية وعصور التخلف والانحطاط وما افرزته تلك العصور والحالات على الثقافة القومية حيث نشأت قيم وعادات وتقاليد واعراف ، وبالتالي ثقافات سائدة دخيلة نقرها ونعتز بها وكأنها ثقافتنا وتاريخنا وعاداتنا بينما هي شواهد واوتاد استعمارية لا تمت لتراثنا وتقاليدنا بصلة ، وهي في كل قطر تختلف عن الاخر من حيث المنهج والمضمون رغم اتفاقها على طمس حضارتنا وتزييف اخلاقنا وارباك مسيرتنا ، ولا تجتمع على شيء مثلما تجتمع اليوم على هدم رسالة الامة الوجودية وقيمها الانسانية واخلاقيتها ومحاولات جرهما شيئا فشيئا الى شواطئ غير التي اعتدناها وسار عليها اجدادنا في كفاحهم من اجل الحق والتقدم الانساني .

وبحكم هذه الحالة من الضياع الفكري والتمزق العقائدي نشأت مدارس ومذاهب وقيم معرفلة ومعيقة لحركة الثقافة القومية الاصيلية ومنابعها المتقدمة ، وكان لا بد ان ينشا عن ذلك التمزق حالات ثقافية في كل قطر حسب واقعه وقدرته على المقاومة من جهة والمدة الزمنية الاستعمارية وطريقة الاستعماريين واساليبهم الثقافية المضللة واهدافهم من وراء ذلك من جهة اخرى . بالاضافة الى الحالات التي تولدت بعد تشكيل الانظمة السياسية المحلية في الاقطار العربية في مرحلة ما بعد الاستقلال ودور هذه الانظمة في وضع اسس للثقافة القطرية ، اكثرها بعيدة عن الثقافة القومية الواحدة ، لا بل ان معظم الاساليب كانت ولا تزال لمنع تزواج عناصر الثقافة القومية بين الاقطار العربية ، ولذلك نشأت مرة اخرى حالات ضياع وتمزق عقائدي ذي بعد قطري وسياسي واجتماعي واقتصادي ، وهذه اكثر خطورة من اي حالة تعرضت لها الثقافة في اية امة من الامم حيث اصححت جزءا من تقاليد الانظمة السياسية في الاقطار العربية ، وبذلك فان معارضتها تقع في اطار معارضة النظام السياسي . وان العمل على بناء ثقافة موحدة للامة يعني الغاء الاساس الثقافي للقطرية والاقليمية وبداية شيوع ثقافة الوحدة العربية ، كما ان دخول المبادئ التقدمية والاجتماعية الحديثة ايضا ، لمب دورا في زيادة تمزق الثقافة واختلاف المناهج ، واصبح الحظر على تنقل الكتاب اشد من اي مرحلة اخرى بالاضافة الى الاجراءات الجمركية والرقابة والنقل والطبع وحركة التوزيع . الخ من العوامل .

٤ - الرقابة والاجراءات الجمركية :

نحن لا ندعي ان بالامكان الغاء الرقابة على المطبوعات العربية ولكن نرى جهدا مكثفا يجب ان يبذل في هذا المجال وخاصة على كتب العلوم التنكيكية والانسانية وكتب التراث والفنون والاداب والكتب التي تبحث في تاريخ الامة ورسالتها الحضارية وحركة القومية العربية ومعارك المصير القومية على الاقل كمقدمة لانفاء الرقابة على الكتاب العربي المتداول بين الاقطار العربية ، وكذلك الاجراءات الكمركية على الكتاب التي تضعها بعض الاقطار العربية او على مصادر الكتب كالورق والحبر الى اخره .

الكتاب في ظل ثورة ١٧ تموز في القطر العراقي

منذ ان بدأت الثورة بتصحيح المسيرة الثقافية في القطر تبعت نهجا قوميا وتقديميا في مجال الثقافة ، وهذا النهج استهدف ارساء تقاليد ثقافية ذات بعد قومي وحضاري يهدف الى تقنين حركة الثقافة وفق الاتجاه القومي والانساني التقدمي . اي بابعاد الافكار والمبادئ التي تعيق حركة تقدم الرسالة العربية الجديدة التي تهدف اليها الثورة ، وفي هذا المجال اعتمدت صيغ جديدة لاعادة صياغة الفكر العربي في العراق ، وهذه الصيغ تبدأ من اشاعة المعرفة وفق المنطلقات القومية والانسانية وتمتد اكثر الى الغاء اسباب التخلف وبناء اسس ثقافية ضرورية لنهضة العراق ولتدعيم نهضة الامة بشكل كامل .

وفي هذا المجال اتخذت الثورة الخطوات التالية :

اولا : في مجال المؤسسات المسؤولة عن النشر والتوزيع :

اسست الدار الوطنية للنشر والتوزيع والاعلان لتقوم بمهمة دعم حركة التوزيع وتمضيد المؤلفين والإشراف على عملية عرض ونشر الكتاب العراقي وجلب الكتاب العربي للقطر ، كذلك الكتاب العلمي العالمي ، فقد سارت في هذا المجال بخطوات ملموسة لها اثر كبير على الشارع الثقافي في العراق وذات علاقة واسعة ومتطورة مع الاقطار العربية تمكنت بواسطتها من جلب أكثر من مليون ونصف مليون نسخة خلال عامين فقط ، وصدرت ما يقارب الربع مليون نسخة من الكتب العراقية للاقطار ، تونس ، المغرب ، الجزائر ، مصر ، الخليج العربي ، لبنان ، سوريا ، الاردن ، واسهمت في وضع اسس سليمة لتزويد الكتاب وتصديره متناسب ومكانته الثقافية والعلمية والحضارية ، وقد روجت للكتاب بعشرات المعارض المحلية واشتركت بمعظم المعارض العربية والعالمية وهي تعمل جادة على دراسة سوق الكتاب باتفاق متحضرة وجديدة ، وقد وقعت جملة من الاتفاقيات مع دور النشر العربية وهي مستعدة لتطوير علاقاتها بما يضمن تداول الكتاب العربي وتيسير وصوله الى القطر وايصال الكتاب العراقي الى كل طالبه في الوطن العربي ، والاتجاه الاخير لدى الدولة والثورة هو حصر استيراد الكتاب بالدار الوطنية وكذلك تصديره لضمان سلامة خط التوزيع والاستيراد ولاخراج الكتاب من اطار التجارة الرخيصة التي يتعرض لها،

اذن فان الازمة ازمة ثقافة وازمة الثقافة وليدة الاستعمار والتخلف ودخول الافكار والمبادئ الغربية على التراث القومي والمعادية للحضارة وتداخل خطة الثقافة في البناء السياسي والاجتماعي ، بالضرورة طبعا ، وهذا يعطي للانظمة المبررات السياسية والاجرائية لمنع حركة الكتاب وبالتالي وحدة الثقافة خوفا من نتائج الاتجاه التوحيدي والمعاصر للفكر العربي ، لانه لا بد وان يحدث تقرا في العلاقات الاجتماعية ويبلور اتجاهات وحدوية في صفوف الجماهير ويكون سدا ضد الافكار المعيقة وكل ما هو معارض للفكر العربي المعاصر والمربسط بالتراث الاصيل للامة . اذا كانت كل هذه الاهمية للثقافة في مصير مستقبل الامة ، وتقدمها ، فمن الاجدر ان نجعل لمسألة الكتاب ومستقبل عموم حركة الثقافة والنشر مستوى جديرا بها في ندوتنا هذه التي تبحث في الكتاب العربي من مختلف جوانبه . ذلك اننا لا نرى اي فصل بينه وبين الثقافة القومية المعاصرة والتراثية . فبالاضافة الى الازمة الفكرية والازمة في اعادة نشر وقراءة التراث هناك مشاكل ومعوقات اخرى جديرة بالبحث ، بل هي جزء من موضوعاتنا هنا لا بد ان نتناولها بعق لنصل الى تحديد الهدف ووضع المؤشرات العلمية ولتجاوز ما يمكن تجاوزه في هذا المجال .

النقطة الثانية : ان ازمة الكتاب لا تزال في جزء منها بسبب الطبع حيث تعاني من التخلف في الوسائل والسرعة رغم دخول الطباعة الحديثة في عدد من الاقطار العربية ، بالاضافة الى القصصور الفني في الغلاف والتصحيح والتبويب ونظافة الطبع ودقة الترجمة واعتماد النهج العلمي والبحث ، وفي هذا المجال يمكن ان يتم تنسيق طباعي عربي في الاقطار المتجاورة لتحقيق التكامل الطباعي ولتأمين طبع الكتب العربية للاقطار التي تعجز مطابعها عن انجاز المطلوب والعمل على

النقطة الثالثة : ان ازمة الكتاب لا تزال في جزء منها بسبب الطبع حيث تعاني من التخلف في الوسائل والسرعة رغم دخول الطباعة الحديثة في عدد من الاقطار العربية ، بالاضافة الى القصصور الفني في الغلاف والتصحيح والتبويب ونظافة الطبع ودقة الترجمة واعتماد النهج العلمي والبحث ، وفي هذا المجال يمكن ان يتم تنسيق طباعي عربي في الاقطار المتجاورة لتحقيق التكامل الطباعي ولتأمين طبع الكتب العربية للاقطار التي تعجز مطابعها عن انجاز المطلوب والعمل على

والمقويات الادبية والمادية من أجل انجاح حملة محو الامية . وقد تم تعاضد جهود المؤسسات الشعبية واجهزة الدولة والشباب ومؤسسات التعليم في هذه المعركة وحظيت بدعم ويتوجيه أعلى سلطة في الدولة ومتابعتها بشكل يكاد يكون يوميا ومباشرا وقد تحققت نجاحات غير متوقعة رفعت نسبة التعليم الى حد يزيد عن (٤٠٪) بينما كانت النسبة لا تزيد على (٢٥٪) ولا تزال الوسائل الترفيهية والاجراءات سارية المفعول لمحاربة الامية وازالة اسباب التخلف . وكل هذا العمل مترابط ومتداخل ويصب في قناة واحدة هي الثقافة والمعرفة . وبالتالي الكتاب وابداع المجالات الواسعة له لانه الكادر المتقدم والمقيم في البيت لتربية الرجل والمرأة والاطفال باحدث مبتكرات المعرفة الانسانية والعلمية والاجتماعية والسياسية ، ولكونه الاطار الاكثر استقرارا ونضجا في اطر الثقافة العامة للمجتمع .

خامسا : في مجال ادب الاطفال :

ان رعاية الامومة والطفولة تعتبر المقدمة الاساسية لبناء مجتمع جديد وان من اولى مسلمات الرعاية توفير متطلبات التربية الحديثة للاطفال والقوانين التي تحمي الام وتمطيها المكتسبات المصرية وتقر بانسانيتها ، وقد قدمت الثورة في هذا المجال خطوات كبيرة حيث انشأت مؤسسة لاصدار مجلات الاطفال وقصص وحكايات تناسب ومستوياتهم وتعتمد للاتجاه القومي والانساني في تربيتهم ، كما اتاحت الفرصة للدار باستيراد الكتب التي تراها مناسبة من دور النشر العربية والتي تتوافق نظرتها للطفولة مع توجه الثورة العربية ومسيرتها في بناء الانسان الجديد التقدمي . ومع انها لا تزال في اول الطريق ، الا انها قطعت اشواط لا بد وانها ستكون الاساس لميلاد ادب اطفال قومي وتقدمي ، وملخصا لكل ذلك كانت وجهة نظر وزارة الاعلام الاستفادة من الكد الهائل الذي ينتجه الفكر الانساني في معظم انحاء المعمورة جهدا متصلا ومكثرا بهدف الانتقال من الجهل الى المعرفة ، وفي هذا المجال اصبح أي جهد يبذل ، لا بد وان يدخل في مجال نقل الانسان من الجهل النسبي الى المعرفة النسبية ، وبشكل تدريجي وبسلسلة متصلة الحلقات من الانتصارات اليومية على الجهل ومسبباته في كافة الميادين ، ولذلك نرى ان على ندوتنا ان تعمل على الاستفادة من الجهد الانساني في مجال المعرفة من جهة واحياء التراث من جهة اخرى ، والعمل على وصل الحلقات بحركة فكرية جديدة ومعاصرة لخدمة حركة الثورة العربية .. وبناء الانسان العربي النموذج الذي نناضل من أجل ميلاده ليوحد هذه الامة ويقدم السعادة والعدالة لكل الكادحين .

علي حسين العبادي

مدير العلاقات والمتابعة في

الدار الوطنية للنشر والتوزيع والاعلان بالعراق

وتعمل في ذات الوقت على تخفيض اسعار الكتب العراقية والعربية لاشاعة الثقافة ودعم حركة التاليف والنشر وتقدم المكتبات ، وهي في هذا المجال بصدد تنظيم المكتبات التجارية والاشراف عليها ومراقبتها حتى تستطيع تحويلها الى دور معرفة واطر صالحة لخدمة المجتمع والثقافة القومية التقدمية اجتماعيا وانسانيا ، وللحد من اساليب التزوير والتلاعب بالكتاب سعرا وطبعاً وتداولاً ، وقد وفرت للدار امكانيات مناسبة ودعم واسع من قبل الثورة لدعم الكتاب وزيادة الكميات المستوردة من الكتاب العربي والعلمي العالمي .

ثانيا : في مجال النشر :

ارتفعت معدلات النشر من الكتب غير المدرسية الى نسب تكاد تكون خيالية قياسا الى السنوات السابقة حيث تم طبع أكثر من الف وثمانمائة عنوان في هذا العام ، (٨٠٪) طبعت بمطابع الحكومة وبنسبة تزيد على النصف طبعت على نفقة الدولة أو مقابل تعضيد يزيد على (٦٠٪) من سعر الكتاب . وقد وزعت معظم هذه المناوين بواسطة الدار الوطنية ، كانت موضوعاتها تتوزع على العلمية والترائية والادبية والسياسية والصناعة المكتبية والعلوم التطبيقية .. الخ ، وكان أكثر من (٧٠) عنوانا لمؤلفين عرب من فلسطين ومصر وتونس والكويت واليمن وسوريا والسودان . وبالنسبة لمؤلفات الكتاب العرب طبعت على نفقة وزارة الاعلام ، وقد وضعت الخطة لتطوير الجهاز الطباعي العراقي حتى يستطيع الاضطلاع بالمسؤوليات المفداة على عاتق العراق الطباعية وقد استحدثت مؤسسة آفاق للنشر والطباعة ووضعت المخططات للمجمع الطباعي التابع لوزارة الاعلام واصدرت قانون المطبوعات لحماية حقوق المؤلفين العراقيين والعرب من التزوير .

ثالثا : الكتب المدرسية ومجانبة التعليم :

من أجل ترويج المعرفة والتقدم الحضاري والفاء التخلف وضعت مسألة مجانية التعليم موضع التنفيذ في العام الماضي وهذا العام ، حيث تم طبع ملايين الكتب والكراسات التي تحتاجها المراحل الدراسية من الابتدائية وحتى الجامعة ، قدمت الى الطلاب مجانا ، كما أعفي الطلبة من أي رسم خاص بالتعليم ووفرت كل الامكانيات لتقدم التعليم واشاعته ، كما تم تطبيق التعليم الاجباري للمرحلة الابتدائية في عدد من محافظات القطر للاطفال من (٧ الى ١٠) كمقدمة لمنع توسع الامية وللارتفاع بمستوى المتعلمين . وقد لاقى هذه الخطوات في مجال المعرفة والتعليم صدى كبيرا لدى المواطن العراقي والعربي المقيم في العراق أو القادم لغرض الدراسة فيه ..

رابعا : مكافحة الامية :

شنت الدولة حملة واسعة وجندت لهذه الغاية طاقات غير اعتيادية وامكانيات مادية ومعنوية كبيرة واجهزة ووضعت سلسلة من الاجراءات